والإعاقة هي كل ما يمنع المرء من ممارسة حياته بصورة طبيعية مثل بقية أفراد المجتمع، وتوجد عدة أنواع من الإعاقات مثل الإعاقة الذهنية والإعاقة الجسدية بتقسيماتها المختلفة.

ثانياً: تطور الإعاقة الذهنية عبر التاريخ والأديان

لقد لاقت فئات التخلف العقلي منذ القدم معاملات مختلفة وذلك باختلاف فلسفات المجتمعات ونظمها الاجتماعية وتأرجحت طرق التعامل بين الاهتمام والرعاية والازدراء إلى الأبعاد والمعاملة القاسية ومن الرأفة إلى الإعدام والحرق واعتباره نقمة وآفة في المجتمع يجب التخلص منها.

ومن النظر إليهم على أنهم كم مهمل إلى فئة من فئات المجتمع يجب الاهتمام بها وإعادة دمجها في المجتمع.ويرجع الاختلاف في أساليب التعامل مع الفئات الخاصة من المعاقين عقلياً إلى اختلاف النظرة الفكرية التي تحدد نظرة المجتمع في كل مرحلة من مراحل الحضارة الإنسانية. ومن خلال مراحل الحضارة الإنسانية والعصور والأديان السماوية نتابع مراحل معاناة المعاقين ذهنياً مع الأسوياء بين الهبوط والصعود.

1- المعاقين ذهنيا في العصور القديمة

مما لاشك فيه أن الحضارة الفرعونية من اعرق الحضارات الإنسانية وكذلك الحضارة الهندية وحضارة بابل في العراق وحضارة الرومان والإغريق والآشوريين والفينيقيين.

ففي مصر الفرعونية: تعكس العديد من النقرشات على جدران المعابد في فيلة ومعبد الأقصر وقد قام بتحليلها علماء الآثار والتي شرحت اهتمام الفراعنة الكبير بالمعاقين والعجزة والأرامل واليتامى ففي عصر (أمنمحات الأول) و(رمسيس الثاني) كان يُطعمون الفقراء والمحتاجين والعجزة والمعاقين وكان يُخصصون لهم مساعدات مالية وقد ساهم في ذلك طبيعة الدور الديني للكهنة والمعابد.

وقد عُثر على جدار معبد مصري قديم على نقش عمره خمسة ألاف سنة لطفل فرعوني مشلول الساق قال عنه الخبراء أن هذا هو شلل الأطفال كما احتوت أوراق البردي المصرية على بعض إشارات لاضطرا بات عقلية

2- في العصر الرومان والإغريق القدماء

نادى الرومان بالتخلص من هؤلاء المعاقين اعتقاداً منهم بأنهم عالة على المجتمع. فقد سيطر في هذه الفترة فلسفة التأملية الذاتية التي نبعت في اليونان. حيث كان ينظر إلى الذكاء على أنه المثل الأعلى وإلي الإعاقة العقلية على أنها انحطاط ذهني. وقد ذكر أرسطو في كتابه الشهير المدينة الفاضلة:

(أن الطفل الأصم الأبكم غير مجدٍ تعليمه، وذلك لعدم قدرته على الكلام أو فهم ما يدور حوله، وقد نبع ذلك من اعتقاده بأن الكلام الوسيلة الوحيدة والهامة للتعليم).

وكانت معتقدات الإغريق أن غضب الإله على الإنسان تجعله يصاب بأنواع الإعاقة وقد قال أرسطو في مدينته الفاضلة أنه لا يجب أن يكون بها عجزة أو معاقين لأنهم نقمة من الرب. وقد دعا أفلاطون – صاحب كتاب الجمهورية – بضرورة إقامة مجتمع خالٍ من العجزة والمشوهين وقد أكد أفلاطون على ضرورة التخلص من المعاقين عقلياً إما بالنفي أو النبذ أو الطرد خارج البلاد وحرمانهم من كافة الحقوق والواجبات المتاحة للأسوياء وكانت التقاليد الدينية تستلزم أن يوضع الطفل عقب ولادته مباشرة عند قدمي والده. أما أن يرفع الأب الطفل عن الأرض ليصبح عضوا مقبولا في الأسرة أو يعرض عنه بسبب التشوهات والعيوب الخلقية فيصبح الطفل في هذه الحالة من الرقيق أو المهجرين إذا سمح له بالحياة.

وقد اتفق هذا مع ما جاء في قوانين ليكورجوس Lycurgus الاسبرطي وقد ظل الناس في روما القديمة يغرقون المكفوفين في نهر التيبر حتى جاء رومولوسى Romulus فاستاء من التصرف وطالب بتشكيل جمعيات أهلية للبت في مدى صلاحية الطفل للمواطنة من عدمه.

وكانت آراء رومولوسى تحولا جديداً في فلسفة المجتمع والتي ما باتت أن وجدت أنصارا ومؤيدين لهذه الآراء وذهبت إلى ضرورة تحديد خصائص وتشخيص الإعاقة وعمل الإغريق على تشخيص الإعاقة العقلية من خلال النواحي الجسمانية وما يرافقها تشوهات خلقية وربطوا بين الإعاقة العقلية والخصائص الجسمانية وهنا يجب أن نذكر أن الإغريق هم أول من ربط بين الإعاقة العقلية والسمات الجسمانية غير أنهم استغلوا هذا الاكتشاف في المساعدة على التأكد من أن الطفل معاق غير أنهم اعتبروا المعاق عقلياً غير صالح للحياة ويجب التخلص منه مبكرا.

أما الرومان فقد اعتقدوا أن المعاق عقلياً يمكن علاجه غير أن المعاق جسديا لا يمكن علاجه وهذه الفلسفة الخاصة لهم جعلتهم يهتموا كثيرا بالمعاق عقلياً دون الإعاقة الجسدية لإيمانهم الشديد بأن الله خلق المعاق جسديا بنقص في التكوين والمعاق عقلياً غير ناقص التكوين فيمكن علاجه.

ولكن لم تكن هذه الفلسفة طوق نجاة للمعاقين حيث كان الاعتبار السائد في المجتمعات الأوربية أن الحياة للأقوى ولذلك كان هناك المحاربون والفرسان والنبلاء وكانت الحياة في المجتمعات الأوربية تموج بالقسوة مما أدى إلى الاستهانة الكاملة بالمعاقين وحقوقهم لأنهم غير ذات نفع ولا فائدة.

3- المسيحية والإعاقة

يُروى عن عيسى عليه السلام قال (عالجت الأكمه والأبرص فأبراتهما وعالجت الأحمق فأعياني) وفي عصر النهضة فقد نادى البروستانت بمسئولية الفرد عن أفعاله ولم يعفوا المتخلفين عقلياً من هذه المسئولية. واضطهدوهم أينما وجدوهم وسماهم مارتن لوثر (أعداء الله) وسماهم العامة (أولاد الشياطين) وزعموا أن أرواحا شريرة لبست ابدانهم وعاقبوهم على أفعالهم بأبشع أساليب العقاب فحرقوهم بالنار وعذبوهم بقسوة لطرد الأرواح الشريرة ولذا كان عصر النهضة أسوء العصور للمتخلفين عقلياً وسمي بعصر السلاسل والحديد.

4- ما قبل الإسلام

كانت نظرة الناس في العصر الجاهلي إلى المرضى والمعوقين نظرة احتقار وازدراء، فهم كمّ مهمل وليس لوجودهم فائدة تذكر، يضاف إلى هذا الخوف المنتشر من مخالطة المرضى خوف العدوى. وذكر القرطبي في تفسيره أن العرب كانت قبل البعثة المحمدية تتجنب الأكل من أهل الأعذار، فبعضهم كان يفعل ذلك تقززا من الأعمى والأعرج، ولرائحة المريض وعلاته.

تلك إذن كانت نظرة المعوق إلى المجتمع ونظرة المجتمع إلى المعوق، ولكن هل كان العرب وحدهم أصحاب هذه النظرة القاسية، والقلوب المتحجرة نحو المرضى؟ من الواجب أن نعترف بأن العرب لم يكونوا وحدهم أصحاب هذه العادات، بل لعلهم أخف وطأة من غيرهم فقد كانت إسبرطة تقضي بإعدام الأولاد الضعاف والمشوهين عقب ولادتهم، أو تركهم في القفار طعاماً للوحوش والطيور.

5- العصر الإسلامي

جاء الإسلام ليصحح المسار الخاطئ للبشرية كلها، وليوضح لها الطريق الذي ينبغي أن تتبعه، واستطاع الرسول ﷺ أن يزرع القيم الطيبة في النفوس، وأن يقتلع كل ما هو فاسد وقبيح، وتمكن المرضى في ظل التعاليم الإسلامية السمحة أن ينعموا بهدوء البال وراحة النفس، خاصة بعد أن فتح الرسول الكريم ﷺ الباب على مصراعيه أمام المرضى ليطلوا من خلاله على الحياة وتطل الحياة عليهم من خلاله، فعندما قرّر الرسول ﷺ أن لا عدوى ولا صفر ولا هامة، هدم الركن الأول الذي كانت حياة المعوق تتشكل عليه، ليس المعوق وحده بل المرضى عموماً لأن هذا الحديث النبوي الشريف كان إيذانا للمجتمع بمخالطة المرضى دون خوف من العدوى وتشرئب أعناق المرضى وتسعد نفوسهم لولا هذا الخجل الداخلي النابع من إحساسهم بالعجز، ويأتي رسول الله ﷺ فيعطيهم جرعات متتالية فيها الشفاء من كل وساوسهم، ويجعلهم يخلعون مختارين الشرنقة الكالحة التي ألبسوها لأنفسهم إلباساً، يقول رسول الله ﷺ ليخفف

من وقع المرض على المصاب: [ما من مُسلم يصيبه أذى، شوكة فما فوقه، إلا كفّر الله بها سيئاته وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها]. أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود.

وتتعدد الأحاديث الطيبة التي يقولها الرسول ﷺ والتي تعطي للمريض عامة الثقة في نفسه، وتمحو عنه دوامات الحزن والأسى كي يستطيع أن ينخرط في المجتمع وينغمس فيه، فالضعيف أمير الركب، وما دام الأمر كذلك فما حاجة المريض والمعوق إذن إلى التقوقع وهو أن خرج سيكون أميراً للركب، وسيتصدر القافلة، وفي هذه الأحاديث هدم للركن الثاني، وأعني به خوف المعوق من المجتمع.

وقد تميز المجتمع الإسلامي بنظرته الإيجابية إلى المعوقين، فخصص لهم من يساعدهم على الحركة والتنقل وإنشاء المستشفيات العلاجية. ولقد عني الخلفاء وحكام المسلمين بالمرضى والمعوقين، ويبدو ذلك واضحاً في اهتمام عمر بن الخطاب، وعبد الملك بن مروان، وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من الخلفاء والحكام بتوفير الرعاية الاجتماعية للمعاقين، وقد بلغ من اهتمام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بهذا المجال أنه حثّ على عمل إحصاء للمعاقين وخصّص مرافقاً لكل كفيف، وخادماً لكل مُقعد لا يقوى على القيام ً وبخاصة عند أداء الصلاة.

ومن الحقوق التي يهبها الإسلام للمكفوف مثلاً أن يأكل عند الحاجة من بيوت أهله أو أقربائه، وأن يشاركهم في طعامهم من غير أن يجد هو في نفسه غضاضة من ذلك، ومن غير أن يجدوا هم في أنفسهم غضاضة من ذلك.

وفي هذا المقام جاء قول الله تعالى في سورة النور: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ [النور: 61].

لقد اهتم الإسلام بالمعوقين بما يحمله من تعاليم التسامح والحب والإخاء بين البشر وذلك من أجل أن يسترد، المعوقون مكانتهم في المجتمع. ولقد كان المعاقون في ظل الإسلام اسعد حظا من المعاقين في أوربا في القرن الثالث عشر لقد كفل الإسلام

رعاية المتخلفين عقلياً واعتبره من فروض الكفايات على الأمة إذا قام به بعضهم سقط عن الإثم عن الباقين وإذا لم يقم به احد كان الجميع آثمين.

وفي هذا يقول الرسول الكريم ﷺ (ابغونى في الضعفاء، فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم)[1] وقال ﷺ (هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم)[2] أن هذا الحديث يضع قاعدة للمسلمين أن النصر والرزق ليس بالجد في العمل ولكن النصر والرزق من عند الله جزاءً على رعاية الضعفاء والذي يُصنفُ منهم المعاقون.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه في حادثة الشيخ اليهودي الضرير الذي قال عنه عمر لخازن بيت مال المسلمين (أنظر هذا وضرباءه. فو الله ما أنصفناه أن أكلنا شيبته ثم نخره عند الهرم).

قال تعالى في محكم كتابه: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات: 11].

وروى عن أنس رضي الله عنه وأرضاه أنه مر رجل برسول الله ﷺ (فقال رجل من الحاضرين يا رسول الله هذا مجنون، فاقبل النبي ﷺ على هذا الرجل فقال: أقلت مجنون؟ أنما المجنون المقيم على معصية الله ولكن هذا مصاب)[3].

إن الإسلام دين رحمة للناس كافة قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107]. وقال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف: 156]. وقال الرسول ﷺ: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)[4].

---

(1) أبي بكر يحي بن شرف النووي (ب.د) شرح صحيح مسلم، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، القاهرة: مكتبة التوفيقية.

(2) البخاري في الجهاد 6: 88، وأحمد 1/ 173، ونحوه الترمذي في الجهاد 6: 256.

(3) موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، محمد السعيد بسيوني زغلول م 3/ 520.

(4) أخرجه الترمذي في سننه بشرح تحفة الأحوذي 6/ 51، دار نشر محمد عبد المحسن 2 الكتبي ط2، 1385هـ الفجالة الجديدة.

لقد عاتب رب العزة حبيبه المصطفى ﷺ في قوله: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ ﴾ [عبس: 1-11].

وسبب نزول هذه الآية أن ابن أم مكتوم أتى الرسول ﷺ وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة أبناء ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم فقال للنبي ﷺ اقرئنى وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك فكره الرسول ﷺ قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت سورة كاملة في القرآن وذلك أعظم دليل على مكانة المعاقين في الإسلام.

لقد نادى الإسلام منذ أربعة عشر قرناً بالمحافظة على المعوقين وأعطاهم حقوقهم كاملة في إنسانية أخاذة، ورفق جميل، مما أبعد عن المعوقين شبح الخجل، وظلال المسكنة، بل أن الإسلام لم يقصر نداءه الإنساني على المعوقين فقط، بل امتد النطاق فشمل المرضى عامة، واستطاع المريض – أياً كان مرضه – أن يستظل براية الإسلام التي تحمل في طياتها الرأفة والرحمة والخير، وأن يتنسم عبير الحياة، في عزة وكرامة، كما أن الإسلام لم يقصر هذا النداء على مناسبة خاصة بالمعوقين لأن القواعد التي أرساها الإسلام سارية المفعول منذ أن جاء بها المصطفي ﷺ، وإلي أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ثالثاً: الآثار الناجمة عن الإعاقة

تترك الإعاقة بحدود مختلفة آثاراً متباينة على الفرد المعوق وأسرته والمجتمع الذي هو فيه وهذه الآثار نسبية تختلف باختلاف درجة الإعاقة، والسن التي حدثت به عند الفرد، وتبعاً لنوع الجنس ذكراً أم أنثى، كما أن الآثار تختلف باختلاف الأسر من حيث وضعها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وجملة الشروط الاجتماعية والاتجاهات السائدة نحو المعوقين.